جناح متمرد

بثينة خليفة قاسم

كاتبة من البحرين

العلاقات العربية - الأمريكية بين التحديث والتغريب

■ العلاقات العربية - الأمريكية علاقات يشوبها كثير من اللغط ، فالمواقف العربية تجاه طبيعة العلاقة بينها وبين أمريكا كقوة عظمى مواقف متباينة بين رافض ومؤيد و بين متوافق ومتصادم، ورغم ظهور كثير من القضايا التي فرضت نوعا من التنسيق في العلاقات العربية - الأمريكية ، إلا أن كثيراً من الأطراف العربية ، حتى وإن كانت غير حكومية المنحى والتوجه ، قد رفضت الدخول في مساومات أو مفاوضات بين السياسة الأمريكية والمصالح العربية ، ومن هنا مرت العلاقات العربية - الأمريكية بكثير من المحطات ذات الأبعاد والاختلافات الفكرية والأيدلوجية .

فنظرية مثل نظرية صدام الحضارات لمؤلفها" صموئيل هانتنغون" - أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفرد ، ومدير معهد جون أليون للدراسات الاستراتيجية - التي تتناول طبيعة العلاقة بين الفكر والسياسة ، من البديهي أن تنال تلك الشهرة الواسعة في ظروف دولية أضحت المصالح الموضوعية فيها هي الأداه أو الفاعل الرئيس في تحريك الدوائر ، فإلى أي حد يتدخل الفكر في تسيير المصالح ؟ بل إلى أي حد تتدخل المصالح في تسيير الفكر ؟!

وكيف تؤثر بعض الأفكار السائدة في صوغ السياسة الدولية وتوجيهها؟

.. وإذا كان العرب يكنون كراهية دفينة لطبيعة النظام السياسي الأمريكي وما يحويه من أجندة مروعه تجاه المنطقة العربية ، تهدف إلى السيطرة على مقومات الطاقة والتحكم فيها، لماذا الانبهار بأمريكا إذاً؟

يؤكد الدكتور رؤوف عباس في دراسة بعنوان " الصعود الأمريكي في الشؤون الدولية في أعقاب الحرب العالمية الثانية وردود الفعل العربية" أن صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الوطن العربي قد اختلفت عن صور غيرها من القوى الغربية اختلافاً كبيراً منذ القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين ، " ففي حين رأى العرب في بريطانيا وفرنسا وايطاليا - وإلى حد ما- ألمانيا ، قوى استعمارية مهيمنة ومتسلطة ، سلبت البلاد العربية حريتها ونهبت ثرواتها ، كانت رؤيتهم لأمريكا على نقيض ذلك تماماً. فالعرب لم يعهدوا أمريكا قوة استعمارية طامعه في بلادهم ، تريد اقتناص ثرواتها ، بل عهدوها شريكاً تجارياً يتعامل معهم وفق قوانين السوق ، ولا يملي عليهم شروطه ، كما رأوا في النشاط الثقافي والخيري الذي قامت به الإرساليات التبشيرية الأمريكية في مصر وبلاد المشرق العربي عاملاً مساعداً للإصلاح والنهضة العربية ، وذلك على الرغم من معارضة الكنائس العربية لذلك النشاط الذي كان توسعه يفقدها بعض أتباعها"

إذاً ، لا نستطيع أن نصبغ كراهية العرب للنظام الأمريكي اليوم بصبغة قديمة أو غائرة العمق ، ذلك أن الثقة التي يوليها الحكام والقادة العرب في النظام السياسي الأمريكي ثقة عمياء لا يمكن إرجاع جذورها إلى الأمس أو اليوم ، فإلى أي مدى نستطيع أن نراهن على أمريكا الأمس في بقاء واستمرارية ثقة القادة العرب اليوم ، إذا ما أدركنا أن السياسة تتحكم فيها المصالح المتبادلة ، واضعين نصب أعيننا المتغيرات الجديدة التي فرضت تغيرات في طبيعة السياسات الداخلية والخارجية لأمريكا تجاه الدول العربية ، كأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ، حيث استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تحدد أو تميز بين الدول العربية في مواقف سياستها الخارجية ، فكان لدرجة التهديد ومستوى التعاون والتطور التاريخي لهذه العلاقة الدور الأبرز في تشكيل الخط الأمثل في رسم أمريكا لسياساتها الداخلية والخارجية تجاه الدول العربية بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ، من هنا لم تتردد أمريكا في اتخاذ الحل العسكري كأداة في الحفاظ على موقعها الدولي ومكتسباتها التاريخية مع بعض الدول العربية كالعراق مثلاً ، كما لم تتردد في التلويح به بين الحين والآخر مع دول أخرى كلبنان وسوريا في الوقت الذي اتخذت فيه قضية الإصلاح السياسي والتعليمي والمالي ورقة للتدخل في شؤون بلدان أخرى كمصر ومنطقة الخليج العربي ، وهي بذلك تسعى بدرجة عالية نحو استمرارية العلاقة تجاه الدول العربية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وفق معطيات جديدة فرضتها الساحة الدولية ، فلماذا لا تستوعب الدول العربية الدرس جيداً ، وتدرك أن أمريكا اليوم غير أمريكا الأمس ؟

وإن كانت المنطقة العربية تعتبر من أكثر مناطق العالم تأثراً بهجمات الحادي عشر من سبتمبر ، لاعتبارات عديدة يقف على رأسها موقع العرب على خارطة الحرب التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهاب .

أما ردود الفعل العربية على أحداث الحادي عشر من سبتمبر تكاد تكون معظمها متطابقة من حيث تقديم القادة العرب العزاء للإدارة والشعب الأمريكي ، باستثناء العراق ، فالنظام العراقي لم يقدم تعزية كما لم يعلن إدانته للأحداث مثلما فعلت بقية الدول ، إذ أكد الرئيس الراحل صدام حسين أن ذلك لن يحدث ما لم تعزي أمريكا الشعب العراقي بالمليون ونصف المليون الذين قتلتهم .

من جانب آخر ، ونتيجة لتقارب الشعوب واندماجها مع بعضها الآخر لقوله تعالى :" إنا جعلناكم شعوباً وقبائل ، لتعارفوا.. " فإنه لابد من التفريق بين التعارف من منطلق الاستفادة والإفادة حيث "التحديث" ، والتعارف بغية طمس هوية الآخر حيث "التغريب" ، إذ لابد من الأخذ في الإعتبار طبيعة التفاعلات العربية - الأمريكية غير السياسية ومدى الازدواجية التي يعانيها المثقف العربي تجاه أمريكا ، فهو يرفض أمريكا كسياسة مستبدة، تحاول فرض أجندتها على العالم بحجة أنها الأقوى، لاسيما بعد انهيار نظام ثنائي القطبية ، وتمركز القوى في قطب واحد من ناحية ، وانبهاره - أي المثقف العربي - بحلم الحياة الأمريكية، حيث الحرية والمساواة وقصة النجاح المادي وتحقيق الذات .. إلخ .

والأخطر من ذلك ، ما سطره نفرٌ من المثقفين العرب من انبهار بالفكر الغربي، إذ وصل المثقف العربي إلى ضرورة " تحديث " الفكر العربي في منهجه وأدواته وما يرمي إليه ، والنتيجة أنهم نأوا بالتحديث عن مساره إلى "ما بعد الحداثة" ، حينما تناسوا أمهات كتب العرب وإنجازاتهم التي بهرت الغرب ولا تزال كذلك ، وارتضوا أن يرتموا في أحضان المؤلفات الأمريكية جديدة العهد بالحضارة والتقدم الإنساني ، فأي مستقبل ذلك الذي ينتظر العلاقات العربية - الأمريكية ؟!■

B7747@HOTMAIL.COM